السجون فى الدولة الغزنوية

د. نعمه على مرسى
مدرس التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية
كلية الدراسات العربية - جامعة المنيا

كان من الضرورى أن يهتم سلاطين الغزنويين بالسجون كجانب إدارى واجتماعى له أهميته الكبرى فى المحافظة على أمن البلاد ومصالحها الداخلية والخارجية، ولدرء أخطار المعارضين لسياستهم من المتمردين على السلطة، والخطرين على الأمن والقضاء على آفات المجتمع من القتلة واللصوص والمجرمين. وقد وجه الغزنويون عنايتهم إلى استتباب الأمن واستقراره فى بلادهم، مبينين ماذا يحدث لو ارتكب أحد من الرعية جريمة ما، من اعتقال أو سجن أو تشهير، ويحدد هذا المصير على يد القاضى، وينفذ على يد المحتسب، وأمير الحرس أو السجان(١).

ومن ثم فقد شرع الغزنويون فى إعداد أماكن لعزل المتهمين والمجرمين وهى السجون لتأكيد انتشار العدل بين الرعية، ولضمان حياة مستقرة آمنة لرعاياهم، ونظرا لمعرفتهم بأهمية القضاء، فقد وجب عليهم محاكمة المتهمين قبل إرسالهم إلى السجون، هذا ما يوضحه البيهقى(٢) فى عدة مواضع من تاريخه بأن سلاطين الغزنويين كانوا يتحرون العدل

---

(١) نظام الملك الطوسى: سياست نامه، ص٨٠،طبعة دار الرائد العربى، القاهرة سنة ١٩٧٥م.

(٢) تاريخ البيهقى، ص٣٣٥،٣٥٢، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٩٨، طبعةدار الطباعةالحديثة بالقاهرة.

والإنصاف لدرجة كبيرة، ومن المألوف لديهم أنه من تثبت إدانته فإنه يعاقب بالتشهير به بربط إحدى رجليه بحبل وسحبه فى الطرقات، حتى أبواب السجن، ولا ينبغى أن يفوتنا التنويه إلى أن القاضى فى عهد السلطان مسعود - وهو أبو العلاء صاعد - كان يجلس أثناء استعراض المساجين فى المناسبات المهمة والأعياد، لكى يدلى برأيه فيمن يشمله العفو السلطانى وإطلاق سراحه منهم، وذلك بحسب عقوبته وذنبه(٣) وذلك نظرا لأن أوامر الإيداع فى السجن كانت تتم إما بأمر السلطان القائم على الحكم أو بأمر القاضى.

وبناء على ذلك وجب علينا بيان الجهات القضائية والتنفيذية فى الدولة الغزنوية أولا قبل الاسترسال فى الحديث عن أنظمة السجون ورسومها، فللحقيقة التاريخية، فإن المستوى الذى وصل إليه القضاء فى عهد الغزنويين من حيث النزاهة ودقة الرأى، لم يكن من فراغ، فلقد كان القضاة يختارون من قبل السطان بعدة شروط يجب توافرها فى الشخص الذى يوكل إليه هذا المنصب(٤).

---

(٣) البيهقى: نفس المصدر السابق، ص ٣٧، ٣٨.

(٤) من أهم الشروط التى يجب توافرها فى القاضى، العلم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والقدرة على استنباط الاحكام منهما، وأن يكون عارفا بقواعد القياس، خبيرا بلغة المتقاضين، زاهدا عفيف اليد.(الكندى: الولاة والقضاة، ص٥٦٢، طبعة بيروت سنة ١٩٠٨، عطية مشرفة: القضاء فى الإسلام، ص ١٦٣، الطبعة الاولى، القاهرة ١٩٣٩م). لقد كان تعيين القضاة ومن إليهم من رجال الدين من امتيازات الخليفة، حتى فى أضعف حالاته، بحيث أنه كان لايجوز للقاضى الحكم إلا إذا فوضه الخليفة بنفسه، ويمنح مرتبه من بيت مال المسلمين، ويطلق على قاضى القضاة فى المنطقة الشرقية اسم موبذة الموابذة (نظام الملك: سياست نامه، ص ٧٠).

ومن ثم كان السلطان محمود (٣٨٧ ـ ٤٢١هـ)[٥] يعلى من شأن

---

(٥) السلطان محمود بن سبكتكين: من أعظم سلاطين الدولة الغزنوية وأقواها، تولى بعد عزل أخيه الأصغر إسماعيل الذىأسند أبوه سبكتكين الحكم له بدلا من محمود (ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، جـ ٩، أحداث سنة ٣٨٧ هـ، ص ١٣٠، طبعه دار صادر بيروت ١٩٨٢م) وقد ذكر الجوزجانى أن محمود كانت له الخبرة والكفاءة الإدارية، لدرجة أن سبكتكين جعله نائبا عنه فى حكم غزنة وهو لم يتجاوز بعد سن السابعة من عمره ومعه وزيره أبو على كرمانى (طبقات ناصرى، جـ ١، ص ٢٧٠ طبعة كابل ١٣٤٣هـ. ش، خليل الله خليلى: سلطنت غزنويان، ص ٢٠) وإن كانت هذه المعلومة فيها شىء من المبالغة، إنما تدل على قدرة محمود وكفاءته فى تسيير شئون الحكم والإدارة فى البلاد.

لقد منح محمود الغزنوى عدة ألقاب كان من أولها لقب سيف الدولة، الذى منحه إياه الأمير منصور بن عبد الملك السامانى (الجوزجانى: نفس المصدر السابق، والجزء، ص٢٥٤ النويرى نهاية الأرب فى فنون الأدب، جـ ٢٥، ص ٣٦٥، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٤م، بارتولد: تركستان، ص ٤٠١،

Nazim: The life and the time of Saltan Mahmoud at Ghzna, P.30 (Comlridge, 1931)

ثم اتخذ محمود لنفسه لقب سلطان فكان أول مبن تلقب بهذا اللقب من حكام المشرق الإسلامى(براون: تاريخ الأدب فى إيران من الفردوس إلى السعدى، ص ١٢٠، عباس برويز: تاريخ ديالمة وغزنويان، ص ١٩١، طبعة تهران ١٣٣٦ هـ. ش).

ولقد أنعم الخليفة القادر بالله العباسى على السلطان محمود بلقب يمين الدولة وأمين الملة، نتيجة لجهوده المتواصلة فى نشر الإسلام فى شبه القارة الهندية.

(نظام الملك: سياست نامه، ص ١٨٨، ميرخوند: روضة الصفا، ص ١٣٦، عباس برويز: تاريخ ديالمة وغزنويان، ص ١٩١).

وقد رغب السلطان محمود فى زيادة ألقابه، فطلب من الخليفة العباسى ذلك، وهدده بالمسير إلى بغداد بالفيلة لتسوية قصره، عندما امتنع عن منحة ألقابا أكثر من ذلك.

(الأمير قابوس: قابوس نامه، المعروف بكتاب النصيحة، ص ١٧٦ ــ ١٧٨، الطبعة الأولى، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٨م).

قاضيه أبى محمد عبد الله بن محمد الناصحى ويدنيه من مجلسه، ويسند إليه الإشراف على أموال الأوقاف فى خراسان[٦] هذا وقد جرت العادة أن يهب السلطان محمود الخلع والهدايا على قضاته ؛ تعظيما لمنزلتهم كما كان يرفع من شأنهم بإسناد المناصب التعليمية البارزة لهم، فقد أسند إلى القاضى أبى العلاء صاعد بن محمد الأشراف على مدرسة غزنة الفقهية[٧].

كذلك كان للقضاء المكانة البارزة فى سلطنة مسعود، وكان فى أيديهم الحل والعقد فى الأوقاف، كأوقاف غزنة وما جاورها، لدرجة أن القاضى مختار بن أبى سعد أعاد أوقاف أسرة الميكائيلين وأراضيهم من أيدى المغتصبين إلى أصحابها، فعمت بذلك الفائدة[٨].

كما اعتمد السلطان مسعود على قاضيه أبى نصر العينى فى إزالة الخلافات الناشئة بينه وبين أولاد سلجوق بعد نزوحهم إلى خراسان، فأرسله للتفاوض معهم، محملا بالهدايا والخلع، ولكن لسوء حظ هذا القاضى، فإن مهمته باءت بالفشل، نتيجة لتمكن السلاجقة من السيطرة على الإقليم واستعدادهم لمواجهة السلطان بالقوة العسكرية ورغبتهم فى إنزال الهزيمة به

---

(٦) العتبى: تاريخ اليمينى، جـ ٢، ص ١٩٤، ملحق بهامش الكامل لابن الأثير، جـ ١١، جـ ١٢، طبعة ١٩٠٩م.

(٧)ميرخوند: روضة الصفا، ص ١٥١، ترجمه د. أحمد عبد القادر الشاذلى، طبعة بالدار المصرية للكتاب، بارتولد: تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى، ص ٤٢٩، طبعة الكويت سنة ١٩٨١، خليل الله خليلى: سلطنة غزنويان، ص ٢٢ طبعة كابل ١٣٣٣هـ. ش.

(٨) البيهقى: تاريخ البيهقى، ص ٣٧

فى مواقع فاصلة، مثلما حدث فى موقعة داندنقان(٩).

ومن اللافت للنظر أن السلطان مسعود لم يقصر اهتمامه على تعيين القضاة فى عاصمة ملكه، بل تعداه لتعيين قاض فى الأقاليم التابعة لنفوذ الغزنويين، حيث عين أبا زيد محمد بن القاسم الجعدوى الدهستانى قاضيا على جرجان حتى يسود العدل فى تلك المناطق ويتم الفصل فى المنازعات(١٠).

ولقد آثرت أن أشير إلى منزلة القضاة فى الدولة الغزنوية واستعانة السلاطين بهم فى عدة اختصاصات ومهام كبيرة ، حتى أبين إلى أى مدى كان للقاضى الحرية فى ممارسة أعماله القضائية وتطبيق الشرع على المجرمين، وبالتالى الحكم عليهم من منطلق القوة الشرعية الممنوحة له.

ومن الجدير بالذكر أن معظم سلاطين الغزنويين كانوا يجلسون للمظالم بأنفسهم، لتحقيق العدل وتأكيده وبث الطمأنينة فى نفوس الرعية، فقد كان السلطان يخصص يوما معينا أو يومين من كل أسبوع للنظر فى دعاوى المتضررين، وإذا طبقنا ذلك على السلطان محمود الغزنوى، الذى خصص يوما للنظر فى المظالم، فإننا نرى أنه أمر بترك أبواب قصره مفتوحة أمام

---

(٩) الراوندى: راحة الصدور وآية السرور، ص ١٥٤ ــ ١٦٠، دار العلم بالقاهرة سنة ١٩٦٠.

البندارى: مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٧، الطبعة الثالثة، دار الآفاق الجديدة بيروت ١٩٨٠م، الحسينى: أخبار الدولة السلجوقية، ص ٥، طبعة لاهور ١٩٣٣م.

(١٠) الباخرزى: دمية القصر وعصرة أهل العصر، جـ ١، ص ٦٣٥، تحقيق الدكتور محمد التونجى.

الشاكين، وقد أورد لنا نظام الملك الطوسى[١١]. فى مؤلفه عدة مواقف تحدث فيها عن عدد المظالم التى نظر فيها السلطان محمود بنفسه، مبينا مدى عدل السلطان وحسن سيرته بين الرعية، وانصافه للمظلومين.

وبناء على ذلك فإننا نستطيع أن نؤكد أن الغزنويين اتصفوا بالإنصاف فلم يكن السلطان محمود هو الوحيد من الغزنويين الذى تحرى العدل والنظر فى شكاوى الرعية ومظالمهم، بل كان أبناؤه خاصة يسيرون على سيرته، فنرى السلطان محمد ينظر فى المظالم[١٢]، والسلطان مسعود يعلن منذ اللحظات الأولى لاعتلائه العرش فى غزنة بترحيبه بشكاوى المظلومين، وأنه سينظر فى المظالم يومين فى الأسبوع، وأن أبواب قصره مفتوحة أمام الجميع دون تفريق بين شريف ووضيع، بحيث يعرض كل صاحب مظلمة مظلمته ويطلب العدل فيها دون أن يتجشم أى عناء أو مشقة وتأكيدا على ذلك، فقد أمر السلطان بإبقاء حاجبه وبعض نوابه خارج مجلس المظالم فى الديوان لتلقى المظالم وبذلك يسهل على المتظلمين تقديم شكاواهم[١٣].

ومن البديهى أن يأمر السلطان مسعود بتعيين قاضى للمظالم فى الأقاليم الكبيرة من مملكته، تحقيقا للعدل بين الرعية، ونشرا للأمن الداخلى

---

(١١) سياست نامه، ص ١١٨، ١٠١.

(١٢) الكرديزى: زين الأخبار، ص ٣١٥، ترجمة دكتورة عفاف السيد زيدان، طبعة القاهرة ١٩٨٢م.

(١٣) البيهقى: تاريخ البيهقى، ص ٣٨.

فيها، لذا أمر بتعيين أحمد بن حسن قاضيا للمظالم على بلخ، ولكى يتأكد من حسن سير العدالة، فإنه كان يطلب من قاضيه إحضار محاضر الجلسات للاطلاع عليها، وليكون على بينه من استتباب الأمن واستقراره فى بلخ(١٤).

فهذا ومثله يؤكد مدى عدالة الغزنويين، وحبهم للخير وحسن نواياهم وإيثارهم للرعية، واحترامهم للقوانين فى سلطنتهم. هذا على عكس ما أورده بعض المستشرقين - وعلى رأسهم بارتولد(١٥) - من أقوال واتهامات وجهها إلى السلطان محمود خاصة، حيث يصوره بصورة الجشع الطامع فى كنوز الهند، ويعيب عليه مطالبته للأثرياء بتمويل حملاته العسكرية على الهند، للجهاد فى سبيل الله، والزج ببعضهم فى السجون؛ ويعتبر ذلك من الجوانب السلبية فى شخصيته، فيصوره بالرجل المتعصب دينيا، المضطهد لرعيته، الفارض للضرائب الفادحة، المصادر لأموال شعبه، باستخدام العنف والشدة وشتى أنواع التعذيب، ذاكرا أن دوافع السلطان وراء ذلك هى طمعه فى جمع الأموال والمزيد منها، وليست غيرته على الدين، وأن قمعه للملحدين والقرامطة لم يكن إلا وسيلة من أهم الوسائل لمصادرة أملاك الأثرياء فى بلاده.

ولكن إذا أمعنا النظر فى كتابات نظام الملك الطوسى(١٦)، التى توضح عدالة محمود، وإيثاره أحد التجار على ولى عهده مسعود، وإجباره

---

(١٤) البيهقى: نفس المصدر السابق، ص ٢٦٧.

(١٥) تركستان من الفتح العربى حتى الغزو المغولى، ص ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣٣.

(١٦) سياست نامة، ص ٣٠٠.

برد ما عليه من أموال، وتهديده بأنه إن لم يوف للرجل بحقه فى الحال، وجب عليه المثول بين يدى القاضى ليخاصمه بما يوجبه الشرع، لدليل قاطع على مدى نزاهة محمود، وحبه الشديد للعدل والإنصاف(١٧).

ومن الطبيعى، أن يسلك السلطان إبراهيم بن مسعود مسلك أبائه، فى الجلوس للنظر فى المظالم، وخير دليل على ذلك إنصافه للغرباء والفقراء الذين تظلموا ببابه، ضد الخبازين والطحانين فى غزنة (١٨).

ولما كان المحتسب من الأدوات التى يستخدمها القاضى والسلطان لتنفيذ الأحكام، ضد الخارجين والمجرمين، لذا فإن دور المحتسب لا يقل أهمية عن دور القاضى فى الدولة، فقد أوكل السلطان بكل مدينة محتسبا يضبط موازينها ويقيم أسعارها(١٩) ويشرف على التشهير والطواف

---

(١٧) Nazinthe Life and the time of Saltan Mahmoud, P.77

وتأكيدا على كذب ما يزعمه المستشرقون من محاولة تشويه سيرته، وإظهاره بمظهر الأكثر إجحافا وظلما للرعية، وبالتالى بإتهامه أن هذا الظلم والقهر أدى إلى نفور الناس منه، ومن ثم زج بمن لم يوف له ما طلبه منه من أموال فى السجون، متناسين أن السلطان محمود كان عليه تجهيز الحملات والجنود المرتزقة بالأموال الكثيرة للجهاد فى بلاد الهند. ومن هنا تلقف المستشرقون بعض هذه المواقف ليشوهوا بها صوته كلية.

(١٨) فقد أمر بهم جميعا فأحضروا إلى مجلسه، وسألهم على ما حملهم على أخفاء الدقيق، فذكروا أن خباز القصر بغزنة زعموا أن هذا بأمر صادر من السلطان نفسه، ومن ثم أمر السلطان بإحضار خبازه الخاص وأمر بطرحه تحت أرجل الفيلة، حتى مات، ليكون عبرة لكل من يحاول إخفاء سلعة من السلع تسبب فى خلق أزمة اقتصادية فى البلد (نظام الملك: نفس المصدر السابق، ص ٧٦).

(١٩) الشيرزى: نهاية الرتبة فى طلب الحسبة، ص ١٢، طبعة دار الثقافة بيروت ـ لبنان.

بالمجرمين فى طرقاتها، ويعزر [٢٠] أصحاب الشبهات والمساجين ويحد أصحاب الفواحش والمنكرات[٢١].

ولقد كان المحتسب محل تقدير واحترام من سلاطين الغزنويين، بحيث لا يتدخل السلاطين فى أعماله، فلم يحاول السلطان محمود أن يشفع لنوشتكين - أحد ندمائه المقربين وقائد جيشه - عندما شرب الخمر فى وضح النهار، فأقام المحتسب عليه الحد، وضربه من غير محاباة حتى طفق يعض الأرض بأسنانه على مرأى من حاشيته، الذين عقد الخوف ألسنتهم فلم يشفعوا له أو يتدخل السلطان للتخفيف عنه[٢٢].

---

(٢٠) الفرق بين الحد والتعزير هو أن الحد مقدر شرعا، اما التعزير فمفوض نوعه وتقديره إلى الحاكم، والحد يدرأ بالشبهات والعزيز لا يدرأ بها، لذا يستحق التعزير من سب غيره بطريقة التعريض وبالاختصار يستحق التعزيز كل مرتكب منكر لأحد فيه ولا كفارة، لذا يستحق التعزير تارك الصلاة والصوم والواجبات الدينية ويستحقه من يحضر مجالس شرب الخمر ولا يشرب، ويكون التعزير بكل ما فيه إيلام لمن يستحق فيكون بالتوبيخ، ويكون بالحبس والنفى وتعريك الأذن وحلق شعر الرأس وبالقتل أو الصفع، فمن كان من أهل الفساد كاللص بالقتل تعزيرا، فيجيزون قتل الجاسوس المسلم إذا اقتضته المصلحة، ويكون هذا للإمام ونوابه وبالعزل من العمل بالنسبة لعمال الدولة وبالتشهير لشاهد الزور (عطية مشرفة: القضاء فى الإسلام، ص ١٥٥، ١٥٦).

(٢١) نظام الملك: سياست نامه، ص ٧٤.

(٢٢) نظام الملك: نفس المصدر السابق، ص ٧٥. من أدوات المحتسب فى معاقبة المجرمين والتشهير بالمتهمين، السوط والدرة والطرطور. (الشيرزى: نهاية الرتبة، ص ١٠٨).

ومن واجبات المحتسب التشهير بالمهتمين فى الأسواق، ليكونوا عبرة لغيرهم على ما اقترفوا من آثام، فقد قام المحتسب فى عهد السلطان مسعود بالتشهير بأحد المساجين على ملأ من الناس فى سوق السعيدية بغزنة وضربه ضربا مبرحا[٢٣] هذا يؤكد هيمنة المحتسب وهيبته فى تنفيذ الأحكام على المساجين، خاصة أن السلاطين كانوا يختارونهم من المشايخ الأتراك ذوى الجاه والسلطان[٢٤].

أما عن أهم الوظائف الإدارية داخل جدران السجن، كانت تأتى فى مقدمتها وظيفة قائد ورئيس السجن، وأمير الحرس والعقابين والجلادين مساعديهم من الجنود. فالملاحظ أن إدارة السجون كانت تناط إلى عدد من الموظفين الإداريين مهمتهم تسيير شئون السجون الداخلية، فكان رئيس السجن يهتم بالإشراف على النظام داخل السجن، ومتابعة سير الحياة اليومية للمسجونين فيه، وقد أطلق عليه اسم كوتوال[٢٥] ويورد البيهقى العديد من كوتوالات القلاع والسجون - منهم على سبيل المثال لا الحصر - أبو على كوتوال قلعة غزنة، وبكتكين الحاجب الموكل بقلعة شارستان[٢٦] وبطالعنا كوتوال آخر هو جنكى رئيس قلعة الكرك التى سجن فيها حاجب الحجاب

---

(٢٣) البيهقى: تاريخ البيهقى، ص ١٧٣.

(٢٤) نظام الملك: ساست نامه، ص ٧٥.

(٢٥) الكوتوال: أى قائد القعلة، وكوت باللغة الهندية بمعنى القلعة، والكلمة معناها فارس القلعة أو قائدها (الكرديزى: زين الأخبار، ص ٢٩٣).

(٢٦) البيهقى: تاريخ البيهقى، ص ٧٤.

على قريب[٢٧]، كما كان "سارغ" كوتوالا على قلعة دندنه، وقد ظل هذا الكوتوال على هذه القلعة حتى أطلق سراح الوزير أحمد بن حسن الميمندى وابنه عبد الرازق من أسوار سجنهم[٢٨].

ومن اللافت للنظر أن هؤلاء القادة كانت لهم اختصاصات مهمة منها نقل المساجين فى بعض الأوقات من قلعة إلى أخرى تحت الحراسة المشددة، وتفقد أحوال السجون والتأكد من بقاء المساجين فى زنازينهم حتى لا تتطرق لأحدهم أية نية بنقب جدار السجن ومحاولة الفرار منه استطاع أحد مساجين القلعة ويطلق عليه اسم محمد بن سورى من الفرار من سجنه فى عهد السلطان محمود، بالرغم من قيده بالقيود الحديدية [٢٩]. ومن اختصاصاتهم أيضا توقيع العقوبات على المساجين ومنها عقوبه الإعدام فقد نفذ كوتوال قلعة كيرى أمر السلطان محمد بإعدام أخيه مسعود، وحمل رأسه إليه[٣٠].

وكثيرا ما ارتفعت مكانة الكوتوال عند السطان الغزنوى، فكان يفرد له مكانا فى مجلسه بينما الباقون وقوف بين يديه[٣١] إلى جانب أن بعضهم

---

(٢٧) العتبى: تاريخ اليمينى، جـ ٢، ص ١٥، عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام فى جنوب غرب آسيا فى العصر التركى، ص ١٥٣، طبعة القاهرة سنة ١٩٧٥م.

(٢٨) الكرديزى: زين الأخبار، ص ٢٩٢، ٢٩٤، خواندمير: دستور الوزراء، ص ٢٣٨، طبعة الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٨٠م.

(٢٩) البيهقى: تاريخ البيهقى، ص ٤٥٠.

(٣٠) الكرديزى: زين الأخبار، ص ٣٣٤.

(٣١) البيهقى: تاريخ البيهقى، ص ٢٦١، ٢٦٢.

كان يتخذ نائبا عنه فى إدارة السجون فى أثناء غيابه، فقد كان لأبى على ـ كوتوال قلعة غزنة ـ نائبا فى إدارة شئونها يطلق عليه اسم قتلغ(٣٢).

وإلى جانب وظيفة الكوتوال كرئيس للسجن، فإننا نرى إمارة الحرس من الوظائف فى عهد الغزنويين، بحيث إذا استثنينا حاجب الحجاب لم يكن أحد بالباب أعظم منه خطرا، ذلك أن عمله متصل بالعقاب، فإذا غضب السلطان على أحد أمر أمير الحرس بضرب عنقه أو قطع إحدى يديه أو إلقائه فى السجن أو غير ذلك من العقوبات(٣٣).

غير أن أمير الحرس ـ فى بعض الأحيان ـ كان يخطىء فى تنفيذ أوامر السلطان فيعرض نفسه لنفس العقاب الذى عاقب به، فقد حدث فى سلطنة مسعود أن نفذ أمير الحرس بعض أوامر السلطان بشىء من التسرع دون تمهل، حيث علق مظفر الطاهر ـ وهو عامل مدينة بوشنك وزعيم أهلها ـ على شجرة من أشجار حديثة القصر السلطانى دون بينة وبإيعاز ووشاية من الحاجب أبى سهل الزوزنى، فما كان من السلطان مسعود إلا إن أمر بتنفيذ نفس العقوبة على أمير الحرس، نكالا له على عدم تمهله، ولاستماعه وشاية الواشين(٣٤).

---

(٣٢) البيهقى: نفس المصدر السابق، ص ٣١٢.

(٣٣) نظام الملك: ساست نامه، ص ١٧٥ .

(٣٤) البيهقى: تاريخ البيهقى، ص ٤٦٣، ٤٦٤. أبو سهل الزوزنى: حاجب الحجاب فى الدولة الغزنوية، كان من رجالات السلطان محمود، ثم انضم إلى ابنه محمد، فلما علم بزحف مسعود على أخيه، أعلن الزوزنى انضمامه إليه، فعينه مسعود فى منصب الحجابة. (عباس برويز: تاريخ ديالمه وغزنويان، ص ٣١٥).

وقد لوحظ أن أكثرية أمراء الحرس فى الدولة الغزنوية، كانوا يختارون من العناصر التركمانية المعروف عنها قوة الشكيمة والشجاعة وإيثار الحق.

وإلى جانب أمير الحرس، وجد العديد من الشخصيات المنفذة للعقوبات منهم العقابون والجلادون والسجانون، حيث كان لكل باب من أبواب السجن سجان خاص به[٣٥] هذا وهناك العديد من الوظائف الإدارية المهمة مثل صاحب الشرطة وكبير الحجاب وقائد الجيش[٣٦] ولكنى آثرت عدم الاسترسال فى الحديث عنها بشىء من التفصيل لعدم مساسها المباشر بالسجون.

السجون الغزنوية وأهم الأنظمة المتبعة فيها:

تنقسم السجون الغزنوية إلى ثلاثة أقسام منها سجون المجرمين والقتلة وقطاع الطرق وغيرهم ممن على شاكلتهم، وسجون الأمراء ورجالات الدولة من وزراء وغيرهم وهى قاصرة على سجون القلاع، إلى جانب نوع ثالث من السجون، وهى التى تختص بسجن أسرى الحروب.

وإذا حاولنا وصف السجون العادية من حيث المساحة، وتقسيماتها، فهى سجون غير مريحة مقسمة إلى حجرات ضيقة، كل حجرة تكتظ بأعداد كبيرة من المسجونين، حتى إن الواحد منهم لا يجد إلا موضع مجلسه. وكان

---

(٣٥) نظام الملك: سياست نامه، ص ٥٦ .

(٣٦) Nazim: the Life and the time of Saltan Mahmoud, P. 126

المسجونون يأكلون ويتغوطون ويصلون جميعا فى هذه الحجرات[٣٧] التى بنيت فى سراديب سفلية، يفصل بعضها عن البعض دهاليز ضيقة، فكانت بذلك مظلمة بعيدة عن الضوء [٣٨] لتكون بذلك قبورا يدفن فيها الأحياء.

أما بالنسبة لسجن القلاع فأننانلمح فى كتابات المؤرخين أنه كانت بالقلاع حجرات كثيرة يحبس فى كل حجرة فرد واحد، على سبيل الحبس الانفرادى، ولم يكن هذا يتم إلا إذا كان المحبوس أميرا أو وزيرا أو ماشابه ذلك [٣٩].

ومن الجدير بالإشارة تعدد سجون القلاع فى طول البلاد الغزنوية وعرضها، فمنها سجن قلعة كرديز، التى سجن فيها الأمير سبكتكين كل من أبى على سيمجور وأبى عبد الله خوارزم شاه فى ٣٨٩ هـ [٤٠].

ومنها سجن قلعة " كوهشير" وقلعة " كرك " بجبال هراة، وهما السجنان اللذان سجن فيهما الحاجب على قريب على التوالى[٤١] وسجن قلعة

---

(٣٧) التنوخى: الفرج بعد الشدة، جـ ١، ص ٢٦، طبعة دار صادر بيروت ١٩٧٨م.

(٣٨) نظام عروض السمرقندى: جهار مقاله، ص ١٢٤ .

(٣٩) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، جـ٩، أحداث ٣٨٩هـ، ص ١٤٩، النويرى: نهاية الأرب، جـ٢٥، ص ٣٦٩ .

(٤٠) الكرديزى: زين الأخبار، ص ٢٧٥، النويرى: نهاية الأرب، جـ ٢٥، ص ٣٦٥. كرديز ولاية تقع بين غزنة والهند(ياقوت الحموى: معجم البلدان، جـ٤، ص٤٥٠، طبعة دار صادر بيروت).

(٤١) البيهقى: تاريخ البيهقى، ص ٩٦، السمرقندى: جهاز مقاله، ص ١٣١ كان على قريب من رجال السلطان محمود، استدعى محمد لتولى الحكم ثم ما لبث أن خرج =

غزنة الذى سجن فيه أخى على قريب المسمى منكيتراك[٤٢].

ومن هذه السجون قلعة سودهك التى سجن فيها الشاعر مسعود بن سعد قرابة سبع سنوات[٤٣]، وقلعة ناى التى قضى فيها ثلاث سنوات ثم قضى قرابة ثمانى سنوات أخريات فى قلعة (مرنج)، لتتم بذلك ثمانية عشر عاما قضاها هذا الشاعر فى غياهب السجون. والملاحظ أن الشاعر مسعود نظم فى حبسه أفضل قصائده التى سميت بالحبسيات [٤٤].

هذا إلى جانب سجون أخرى خصصت لسجن الشخصيات السياسية المغضوب عليها، التى كان تطبق عليها العقوبات السياسية المتمثلة فى النفى خارج البلاد، تمركزت هذه السجون فى الهندوستان ببلاد الهند، منها قلعة كالنجر وقلعة جانكى. فنرى السلطان محمود ينفى الوزير أبا القاسم أحمد بن الحسن الميمندى بسبب رسائل المفسدين والحاقدين، ووشاية الحساد من ندماء السلطان وكبار رجال الدولة [٤٥]، وقد استمر فى منفاه حتى عهد السلطان

= عليه وراسل مسعود، ولكن السلطان سمعود أمر بالقبض عليه ومصادرة أمواله لأخذه عليه استدعاءه لمحمد. (العتبى: تاريخ اليمينى، جـ ٢، ص ٦، عصام الدين عبد الرؤوف، تاريخ الإسلام، ص ١٥٣).

(٤٢) البيهقى: تاريخ البيهقى، ص ٩٦. غزنة حاضرة سلاطين الغزنويين، وهى مدينة عظيمة وولاية واسعة فى طرف خراسان، ينسب إليها العديد من العلماء (ياقوت الحموى: معجم البلدان، جـ٤، ص٢٠١).

(٤٣) السمرقندى: جهار مقاله، ص ١٣٩.

(٤٤) السمرقندى: نفس المصدر السابق، ص ١٣٩.

(٤٥) العتبى: تاريخ اليمينى، جـ ٢، ص ١١، الكرديزى: زين الأخبار، ص٣١٩،=

مسعود، حيث أطلق سراحه وأعاده إلى منصب الوزارة (٤٦).

والملاحظ ان النفى السياسى لم يكن قاصرا على السجون الغزنوية فقط بل نلاحظه فى تاريخ مصر فى عصر الولاة أن هناك نفى سياسى متمثل فيما أصدره والى مصر سليمان بن غالب - من قبل المأمون - بنفى السرى بن الحكم إلى إقليم أخميم فى صعيد مصر ٢٠١هـ، وبقائه هناك مكبلا بالاغلال حتى عفا عنه الخليفة، وأعاده إلى ولاية مصر سنة ٢٠٢هـ، ومن ثم تعقب السرى كل من وقف ضده، حتى قضى على معظمهم(٤٧).

- ميرخوند: روضة الصفا، ص ١٥٩، خواندمير: دستور الوزراء، ص٢٣٧، نظام عقيلى: آثار الوزراء، ص١٥٢، ١٥٣، خواندمير: حبيب السير فى أخبار افراد البشر، جـ ٣، ص ٢٦، ٢٧، تهران ١٣٣٣ هـ شى، ابن الجوزى: المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم، جـ ٨، ص ٥٣، الطبعة الأولى، طبعة حيدر آباد الدكن، سنة ١٣٥٨هـ - عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام ص ١٢٩.

(٤٦) الكرديزى: زين الأخبار، ص ٣١٩، عباس إقبال: تاريخ ايران بعد الإسلام، ص ١٨٦، طبعة دار الثقافى والنشر القاهرة.

(٤٧) الكندى: الولاة والقضاة، ص ١٦٥، ١٦٦ ولقد أمر أحمد بن طولون بالقبض على ابن الصوفى العلوى وأودعه السجن فى المنفى، ولما عفى عنه فضل ابن الصوفى الذهاب إلى المدينة المنورة للأقامة فيها حتى وفاته. (ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة جـ ٢، ص ١٧٨، طبعه مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية) كذلك اعتقل ، الى مصر التركى محمد بن تكين من قبل محمد بن طغج الإخشيدى ونفى إلى إخميم، وبهذا كانت أخميم المنفى السياسى فى مصر، كما كانت الهندوستان المنفى السياسى لمعارضى الدولة الغزنوية. (ابن تغرى بردى: نفس المصدر السابق، والجزء، ص ١٧١).

وهناك نوع ثالث من السجون وهو سجون الأسرى، فنحن نعرف أن سياسة الغزنويين الخارجية قامت على تجهيز الكثير من الحملات العسكرية لغزو قلاع الهند، ونشر الإسلام فيها، كذلك محاربة المتمردين فى البلدان المجاورة، مثل أبى على سيمجور وغيره(٤٨).

ومن ثم سقط الكثير من جنود الأعداء فى الأسر، وكان الأسرى من الكثرة بمكان بحيث جعلت السجون تكتظ بهم، ولا تكفى لاستيعابهم، مما دفع السلطان محمود الغزنوى لتشريع سنة جديدة، وهى أن يعرض الأسرى من غزواته فى السوق ليباعوا كرقيق، فقد بيع الأسير فى غزوتى " قشمير" و"قنوج" بأقل من عشرة دراهم(٤٩) نظرا لكثرة عددهم.

ومن الملاحظ أن الأسرى فى ولاية سبكتكين على غزنة قد تم تبادلهم مع أسرى الجانب الآخر المحارب، سواء بالرجال أم بالفيلة، وذلك ناتج على سقوط العديد من فيلة الجيش الغزنوى فى يد أبى على سيمجور وفائق - قائدى جيش السامانيين - ومن ثم قام سبكتكين باطلاق سراح أسراهم فى مقابل إعادة الفيلة لجيشه(٥٠) .

ومما يجدر الإشارة إليه أن السلطان محمود، كثيرا ما أمر بوضع

---

(٤٨) ابن الأثير: الكامل، جـ ٩، أحداث سنة ٣٨٩هـ، ص ١٤٧، ١٤٨.

(٤٩) ابن الأثير: نفس المصدر السابق ونفس الجزء، أحداث سنة ٤٠٧هـ، ص ٢٦٧، ٢٦٨، ميرخوند: روضة الصفا، ص ١٥١ .

(٥٠) الجوزجانى: طبقات ناصرى، جـ ١، ص ٢٥٥ ميرخوند: نفس المصدر السابق، ص ١٤٩،

Nazim: The Life and The Time of Saltan Mahmoud, P. 31

الأغلال فـى أعنـاق الأسـرى واقتيـادهم إلـى عاصمـة ملكـه أفواجـا، حتـى إذا امتلأت منهم العيون بعرضهم فى الطرقات، وغصت بهم المجالس والسـجون، من عليهم بالإفراج، وبعث بهم إلى ديار الهند لحماية الأطراف فيها(٥١) ومـن هنا نرى أن السلطان محمود كان يعامل الأسرى بعدة طرق من أولها وضعهم فى السجون، أو بيعهم كعبيد فى أسواق الرقيق أو إرسالهم إلى الهند للاسـتفادة منهم كجنود لحماية الحدود والقلاع.

غير أن هذه السياسة قـد بدلـت بسياسـة أخـرى تتلخـص فـى القضـاء السريع عليهم، فمن الثابت أن الأسرى كانوا يسجنون أثناء المعارك فـى خيـام عليها الحراس(٥٢)، ثم يساقون وهـم مصفـدو الأيـدى والأرجـل إلـى السـجون ليحبسوا فيهـا، ولكـن السـلطان مسـعود كـان يتبـع طريقـة أخـرى وهـى قتلهـم وإبادتهم جميعا، ثم نصب رؤوسهم على أعمـدة للتشـهير بهـم وليكونـوا عـبرة لغيرهم من الأعداء، وهذا ما يؤكده البيهقى(٥٣) بأن القائد حسن سليمان ـ قـائد جيش مسعود ضد البويهيين ـ عندمـا ظفـر بالأسـرى أقـام نصبـا تعلـق عليـه الرؤوس قدر أعدادها بمائة وعشرين نصبا، وشنق الأقوياء والبارزين منهم.

وهذه التصفية الجسدية السريعة قد اتبعها السلطان "مودود" بعد ذلـك، فقد أمر بالقبض على أعداد كبـيرة فـى مدينـة بسـت وأودعهـم السـجون، فلمـا اكتظت بهم أمر بقتلهم جميعا(٥٤).

---

(٥١) العتبى: تاريخ اليمينى، جـ ٢، ص ٦٩.

(٥٢) الكرديزى: زين الأخبار، ص ٣٢٥، ٣٢٦.

(٥٣) تاريخ البيهقى: ص ٤١.

(٥٤) ابن الأثير: الكامل، جـ ٩، أحداث سنة ٤٣٥هـ، ص ٥١٨.

ومن العادات المعمول بها داخل نطاق السجون من أهمها، أن تكتب قوائم بأسماء المسجونين فى سجون غزنة ونواحيها خاصة ومن فى القلاع عامة[٥٥]، لكى تعرض على السلطان ويبدى رأيه فى كل شخص منهم، وفى بعض الأحيان، يصدر عفوه عن بعضهم خاصة فى الأعياد والمناسبات[٥٦] وقد سار السلاجقة على نفس هذا المنوال، فكان السلطان ألب أرسلان يأمر بإطلاق سراح المساجين فى الأعياد، خاصة فى عيد الفطر[٥٧].

ومن العادات الحسنة المتبعة فى المناسبات والأعياد - خاصة جلوس سلطان جديد على العرش، كما حدث عند جلوس مسعود ــ أن يأمر باستعراض المسجونين، وفك قيودهم، وإطلاق سراحهم، كى يتمتع الجميع ويهنأوا بقدوم السلطان الجديد[٥٨].

وقد كان سلاطين الغزنويين يقبلون الشفاعة فى الشخصيات البارزة ويطلقون سراحهم من السجون، مع السماح لهم بالعودة إلى مناصبهم الأولى، فيما عدا السلطان مسعود الذى كان يرفض إعادة المساجين إلى أعمالهم - إلا فى حالات نادرة - قائلا: لا يمكن الثقة بأية حال من الأحوال بالمعتقلين، لأن كلا منهم قد اعتقل لذنب كبير[٥٩] ومثل هذه الحالات النادرة ما حدث مع

---

(٥٥) البيهقى: تاريخ البيهقى، ص ٢٦٩.

(٥٦) العتبي: تاريخ اليمينى، جـ ٢، ص ٦٨، السمرقندى: جهار مقاله، ص ١٢٤، عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، ص ١٨٣ .

(٥٧) الحسينى: أخبار الدولة السلجوقية، ص ٥٨.

(٥٨) البيهقى: تاريخ البيهقى، ص ٣٨ .

(٥٩) البيهقى: تاريخ البيهقى، ص ٢٩٠ .

الوزير أحمد بن الميمندى الذى سجن فى عهد محمود، وأعيد للوزارة فى عهد مسعود، نتيجة لمهارته وخبرته فى هذا المجال فقبلها الميمندى هذه المرة بشروط مسبقة(٦٠).

ومن أهم الأنظمة المتبعة فى السجون الغزنوية، عدم السماح للزائرين وأهالى المسجونين بالدخول عليهم الا بتصريح خاص يصدر من قبل كبير الحجاب أو كوتوال السجن(٦١).

وينطبق ذلك أيضا على المساجين داخل جدران السجن، فليس من المسموح به مبارحتهم حجراتهم إلى غيرها على الإطلاق(٦٢).

وكانت من قواعد السجن المتبعة أن يخرج المساجين للعمل فى البناء، حيث يسخرون فى بناء الإنشاءات العامة دون أجر معلوم، وقد ظهر

---

(٦٠) الأمير قابوس: قابوسنامه، ص ٥٦، خواندمير: حبيب السير، جـ ٣، ص ٢٦، ٢٧، عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الترك، ص ١٤٩. لقد أمر السلطان محمود باعتقال وزيره الميمندى بعد أن أغرمه ألفى ألف دينار(ابن الجوزى: المنتظم، جـ٨، ص ٥٣) مع أن هذا الوزير كان أخا محمود فى الرضاعة ورفيقه فى مكتب التعليم (عباس إقبال: تاريخ إيران، ص ١٨٦)، وكان يلقب بشمس الكفاة (نظام الملك: سياست نامه، ص ٧٩ هامش ١، براون: تاريخ الأدب فى إيران، ص١٢٠، بارتولد: تركستان، ص ٤٣٥). فلما أعاده مسعود للوزارة خلع عليه خلعة جميلة، وأسندت إليه تدبير أمور الجيش أيضا، الكرديزى: زين الأخبار، ص ٣٢٠، نظام عقيلى: آثار الوزراء، ص ١٥٣.

(٦١) البيهقى: تاريخ البيهقى، ص ٩.

(٦٢) ابن الأثير: الكامل،جـ ٩، أحداث سنة ٣٨٩ هـ، ص ١٤٩.

هذا بصورة واضحة عندما أمر السلطان مسعود ببناء جوسق، استغرق بناؤه أربع سنوات، فقد كان المسجونون أضعاف المأجورين ومن الإشارات الدالة على تسخيرهم قول مهندس المشروع المسمى عبد الملك النقاش: "لقد سجلت نفقات هذا الجوسق فكانت ألف ألف درهم سبع مرات، فيرد عليه أبو على الكوتوال على سجن قلعة غزنة بقوله: أنهم سخروا المسجونين للعمل، ولو دفعت أجورهم لبلغت ضعفى هذا المبلغ"(٦٣).

هذا ينطبق على المسجونين العاديين من قتلة ولصوص وغيرهم، أما بالنسبة للمسجونين ذوى النفوذ والثراء، فإنهم فى كثير من الأحيان - يعاملون معاملة متميزة، فلا تطبق عليهم السخرة، كما أنهم يعفون من الجلد إذا دفع الواحد منهم غرامة مالية مقدرة(٦٤). وهذا يوضح الفرق فى المعاملة داخل السجون بين المسجونين العاديين وبين المسجونين أصحاب الثراء، وأن فى الإمكان بذل المال للجلادين وبالتالى التغاضى عن تنفيذ بعض العقوبات المنصوص عليها.

وقد كان من المتبع فى السجون الغزنوية إقامة الحراسة المشددة على المسجونين فى جميع الأوقات، وخير دليل على ذلك ما تركه لنا الشاعر مسعود بن سعد بن سلمان من أشعار يصف فيها نظام الحراسة فى سجن قلعة نای(٦٥)، مبينا أن الحراس يقفون على باب حجرته وفوق أسطح السجن، وهم

---

(٦٣) البيهقى: تاريخ البيهقى، ص ٥٣٧، ص ٥٣٨.

(٦٤) البيهقى: نفس المصدر السابق، ص ١٧٦.

(٦٥) السمرقندى: جهار مقاله، ص ١٣٩ .

يتصايحون فيما بينهم فى كل لحظة من اللحظات[٦٦]. وعلى الرغم من الحراسة المشددة والاستحكامات الشديدة، إلا أننا نسمع عن فرار بعض المساجين سواء بنقب جدار السجن أم عن طريق التخفى فى ملابس النساء[٦٧].

وقد جرت العادة فى سجون الغزنويين على أن يرتدى السجين ثوبا من الصوف الأبيض ويترك شعره بدون قص على عاتقيه، ويوضع فى رجليه القيد[٦٨] أما من ناحية العناية الطبية بالمساجين، فقد بدأ الاهتمام بهذه الناحية بالذات فى الخلافة العباسية منذ عهد المقتدر بالله ـ عندما انتشر الوباء فى بغداد ـ فقد قام والد الطبيب سنان بن ثابت بن قرة بتعيين عدد من الأطباء للكشف عليهم، فأدخل عليهم الأطباء فى كل يوم يحملون إليهم الأدوية والأشربة ويعالجون المرضى منهم[٦٩] ومنذ ذلك الوقت فقد عمت هذه الطريقة فى أنظمة السجون فى الدولة الإسلامية، واهتم الغزنويون بإفراد أطباء للدخول فى سجونهم، والكشف على مساجينهم، نتيجة لوجود أمراض

---

(٦٦)براون: تاريخ الأدب فى إيران، ص ٤٠٧، ٤٠٨، عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، ص ٢٠٢.

(٦٧) ابن الأثير: الكامل، جـ ٩، أحداث سنة ٣٩٠ هـ، ص ١٥٦، النويرى، نهاية الأرب، جـ ٢٥، ص ٣٧١ لمزيد من التفاصيل انظر قصة السبهالارغازى فى سجن قلعة غزنة الذى حاول حفر نفق أثناء الليل (البيهقى: تاريخ البيهقى، ص ٤٤٩، ٤٥٠).

(٦٨) بارتولد: تركستان، ص ٤٠٢ .

(٦٩) ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، ص ٣٠١، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت.

معينة وعلل عرضت فى بعض السنوات، كان ضحيتها وفاة العديد من المساجين فى سجون البويهيين فى عهد السلطان بهاء الدولة البويهى(٧٠).

أما من ناحية المأكل والمشرب داخل السجون، فلم يكن علىدرجة كبيرة من النظافة على عكس سجون القلعة، التى كانت لها نفقة خاصة من خزانة الدولة الغزنوية، وكان يسمح للمسجون باصطحاب الخدم والجوارى والطباخين لإعداد طعامهم وما يلزمهم فى السجن، فقد أمر السلطان مسعود عند القبض على الاسبهالارالغازى بأن يسمح له باصطحاب الجوارى وثلاثة من الطباخين وأن تكون نفقته ألف دينار(٧١).

ولقد اختلف المساجين عن الرهائن فى هذه الجهة بالذات، فقد كان من عادة الغزنويين أن يطلبوا رهائن من رجالات دولتهم وقادة جيوشهم، ليكونوا تحت تصرفهم ولكى يضمنوا ولاءهم وتنفيذ ما التزموا به من عهود ومواثيق، حيث أمروا بأن يتركوا أبناءهم رهينة فى البلاط السلطانى لضمان عدم خيانتهم(٧٢). فكانت الدولة تضع الرهائن فى القلاع ومعهم الخدم وجميع متطلباتهم اليومية وتقدم لهم أفخر الأطعمة والأشربة.

كذلك جرت عادتهم على أخذ رهائن من أبناء الملوك الخاضعين لنفوذهم، حيث كانوا ينزلونهم منزلا كريما رفيعا، ويستدل على ذلك من

---

(٧٠) ابو شجاع الروذراوى: ذيل تجارب الأمم، ص ١٧١، طبعة دار العلم بالقاهرة ١٩٦٠م.

(٧١) البيهقى: تاريخ البيهقى، ص ٢٥٨

(٧٢) الكرديزى: زين الأخبار، ص ٣٢٣

Nazim: The Life and The Time of Saltan Mahmoud, P.149

حدث مع إيارق ملك الهند أو كثير من الشراب حتى الثمالة، ليسهل القبض عليهم دون مقاومة، مثلما حدث مع إسرائيل ابن سلجوق، الذى قيده بعد تماديه فى الشراب، فى مجلس السلطان محمود، وحمل إلى سجن قلعة كالنجر ببلاد الهند(٧٦). أو يدس النساء للإيقاع بهم(٧٧).

كذلك جرت العادة على مراقبة المفرج عنهم حديثا من السجون، عن طريق تكيف عدد من الرجال، لإحصاء حركاتهم ومراقبتهم، حتى تبدر منهم بادرة تستوجب معاقبتهم وتثبت إدانتهم فيودعون السجون(٧٨) ومادمنا قد وصلنا إلى هذه النقطة فى البحث فيجب علينا أن نؤكد أن الغزنويين اعتمدوا فى تسيير شئون سجونهم على تكليف العيون والجواسيس، فكان التجسس، أمرا واردا فى نطاق الحكم والسياسة فى الدولة(٧٩).

كذلك كانت كتابة التقارير السرية من الأمور الواردة فى الدولة(٨٠)، والتى اختص بها صاحب ديون الرسائل، وكانت هذه التقارير تكتب من عدة

---

(٧٦) الراوندى: راحة الصدور، ص ١٥٠، البندارى: مختصر تاريخ آل سلجوق، ص ٧، عباس إقبال: تاريخ إيران، ص ١٩٤.

(٧٧) البيهقى: تاريخ البيهقى، ص ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٥٢.

(٧٨) البيهقى: نفس المصدر السابق، ص٥٦٣.

(٧٩) الكرديزى: زين الأخبار، ص٣٢٧، بارتولد: تركستان، ص٤١٨.

(٨٠) كانت التقارير السرية فى الدولة الغزنوية أمرا واردا معترفا به فى الحكم والإدارة، لدرجة أن السلطان محمود كان السلطان محمود كان يتلقى من جواسيسه وعيونه التقارير عن ابنه الأكبر وولى عهده مسعود، وذلك أثناء ولايته على إقليم بلخ. للمزيد من التفاصيل انظر البيهقى: تاريخ البيهقى، ص١٢٧ إلى ١٣٠.

جهات وترسل من قبل عمال البريد(٨١)، ولابد من مراجعتها، بمعرفة رئيس الديوان قبل عرضها على السلطان(٨٢) وكثيرا ما استغل كبار رجال الدولة هذه التقارير فى الإيقاع ببعض الشخصيات وإدانتهم ظلما مثلما أوقع أبو سهل الزوزنى بكل من، حسنك وعلى قريب الحاجب وغيرهم(٨٣).

حتى تحققت براءتهم مما نسب إليهم من تهم، فأودعوا السجون بناء على ذلك، وقد أمضوا فترة طويلة.

وفى حقيقة الأمر فإن الغزنويين باستخدامهم العيون والجواسيس بصورة كبيرة فى نقل الأخبار وكشف خبايا الأمور، أكدوا على قدرتهم فى

---

(٨١) الكرديزى: زين الأخبار، ص٣٢٧، عباس إقبال: تاريخ إيران، ص٢٠٥.

(٨٢) عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام، ص١٦٦.

Nazim: The life and the time of saltan Mahmond, P. 143.

(٨٣) البيهقى، تاريخ البيهقى، ص٣٤٣، خواندمير: دستور الوزراء، ص٢٣٩، السمرقندى: جهار مقالة، ص١٣١. عباس برويز: تاريخ ديمالة وغزنويان، ص٣٧٦. وإذا أمعنا النظر فى كتابات الوزير نظام الملك وزير السلطان ملكشاه السلجوقى - فإننا نخرج بنتيجة هى تأييده لنظام الجاسوسية فى الدولة الغزنوية، لدرجة اعتبار هذا النظام من الأنظمة الدقيقة فى البلاد - ومن ثم فهو ينصح سلطانه ويطالبه بأن ينهج نهج الغزنويين فى هذا المضمار، مبينا فى كلامه مدى إعجابه بأفعال الجواسيس، رافعا من قدرهم، لدرجة أنه يرغب فى أن يتولوا أعمالهم من قبل السلطان نفسه، لا من قبل أحد غيره، فهم بالنسبة له أناس لا ينشغلون بأمورهم وشئونهم، إنما حياتهم كلها فى خدمة السلطان وما يطلب منهم، وبهذا الكلام يرفع نظام الملك من قدر الجواسيس والعيون، ولا ينظر لمساوئهم وافتراءاتهم فى بعض الأحيان. (سياسة نامه ص١٠٢).

معرفة كل صغيرة وكبيرة داخل دولتهم وخارجها وإن كان هذا النظام غير سليم فى جميع أحواله، نظرا لتلفيق بعض الاتهامات للأبرياء بدون دليل أو سند، ومن ثم وجب على القائمين بالأمر التأكد من المعلومات الواردة إليهم من هذه الجهات.

ولا يفوتنا أن نشير هنا إلى أن سلاطين الغزنويين كانوا على علم ودراية بنظام الشفرة، والذى أطلق عليه اسم المعميات، وهو الوسيلة التى استخدمت فى التجسس من قبل أعداء البلاد الخارجين، أى ما يمس السياسة الخارجية للدولة، فهو نظام - وإن كان قد تحدث عنه البيهقى أثناء حديثه عن معماة وجواسيس خوارزم شاه حاكم الدولة الخوارزمية، داخل غزنة - قد استخدمه الغزنويون لأنه نظام مستخدم داخل البلاد المجاورة لأراضيهم(٨٤).

أما عن أساليب التعذيب فى السجون الغزنوية فمما لا شك فيه أن التعذيب قد شاع، وشاعت معه أساليبه وأدواته، أكثر مما شاعت فى غيرها من السجون، فإذا كان الدهق(٨٥) قد شاع زمن الحجاج بن يوسف الثقفى

---

(٨٤) لمزيد من التفاصيل انظر البيهقى من ص٣٣٥ إلى ٣٤٣ والمعمى من الكلام ما عمى معناه وخفى. العتبى: تاريخ اليمنى،جـ٢، ص٦٩، الكرديزى: زين الأخبار، ص٢٩٣.

(٨٥) آلة الدهق هى عبارة عن خشبتين يغمز بهما ساق المجرمين. ابن أعثم الكوفى: كتاب الفتوح، جـ٧، ص ٢٠٨، الطبعة الأولى، طبعة الندوة الجديدة بيروت ١٩٧١، لقد انتهى مصير يزيد بن المهلب فى خلافة يزيد بن عبد الملك بصلبه على دقل سفينه منكسا وصلب معه خنزير الى جنبه فكانا جميعا معلقين بقلس من قلوس السفينة، ثم أمر يزيد بن عبد الملك برأس يزيد بن المهلب فطيف به فى مدائن الشام لينظر إليه، ثم أتى به بعد ذلك فنصب على باب توماء بدمشق، ونصب رؤوس أخوته عن يمينه وشماله. وانظر: نفس المصدر السابق، جـ ٨، ص ٢٢.

باستخدامه لهذه الآلة بوضع يزيد بن المهلب بها، مطالبا إياه بمبالغ كبيرة من المال، فإن الغزنويين قد استخدموا هذه الطريقة فى استنطاق المسجونين، للبوح بأماكن إخفائهم الأموال التى يملكونها، كما حدث للوزير أبى العباس الفضل بن أحمد الأسفرائينى، الذى توفى متأثرا بالتعذيب سنة ٤٠٤هـ[٨٦].

وإذا كانت السياط قد شاعت زمن الخليفة المستعين بالله، حيث أمر بضرب أبى معشر البلخى - وهو من مشاهير القرن الثالث الهجرى ـ الذى كان يتنبأ بالأمور قبل وقوعها[٨٧] فإن العقوبة قد وصلت على عهد بهاء الدولة الديلمى إلى حد إخراج اللسان وقطعه وغير ذلك[٨٨].

فإن كل هذه العقوبات قد شاعت فى السجون الغزنوية، ومما هو أكبر منها فظاعة وقسوة، بحيث تعددت حالات الوفيات داخل السجون، تحت وطأة آلات التعذيب[٨٩] ومن الجدير بالذكر أن السجون الغزنوية طبق فيها عدة أساليب لإقامة الأحكام القضائية والتعزير، فعلى سبيل المثال ـ لا الحصر ـ فإن الغزنويين استخدموا وسائل معينة فى تعذيب سجنائهم مثل الضرب بالسياط، فنرى السلطان مسعود يأمر بضرب أبى المظفر ألف جلدة وهو مشدود على العقابين[٩٠]. وكذلك استخدم الغزنويون قطع الأيدى والأرجل

---

(٨٦) لعتبى: تاريخ اليمينى، جـ ٢، ص ٧، خواندمير: دستور الوزراء، ص ٢٣٥، ٢٣٦

(٨٧) السمرقندى: جهار مقاله، ص ١٤٨، ١٤٩

(٨٨) شجاع الروذراوى: ذيل تجارب الأمم، ص ١٦٨، ١٦٩

(٨٩) ابن الأثير: الكامل، جـ ٩، أحداث سنة ٣٨٩هـ، ص ١٤٧

(٩٠) الكرديزى: زين الأخبار، ص ٢٩٠، البيهقى: تاريخ البيهقى، ص ٤٧٠، لقد شاع استخدام التعذيب بالسياط والرجم بالحجارة بصورة واضحة فىمصر فى عهد =

وجذع الأنف من وسائلهم فى تعذيب المساجين، فقد أمر السلطان مسعود بقطع أيدى بعض المساجين من أنصار أحمد ينالتكلين[٩١]. والتعليق على الشجر حتى يلفظ المتهم أنفاسه الأخيرة[٩٢]، كما كان يعذب المسجون بلبس جبة من الصوف فى الحر الشديد ويغلق عليه الأبواب فى ساحة السجن فلا يجد مكانا يستظل فيه[٩٣] وفى كثير من الأحيان يشتد التعذيب بالمسجون حتى الموت، وذلك نتيجة لمقدار جرمه، فمن أشد وسائل التعذيب سلخ الجلد عن الجسد، ورمى اللحم إلى الكلاب وحشو الجلد بالقصب ثم تعليقه على باب القصر، كان ذلك يحدث للمتآمرين ضد مصلحة الدولة، والمتعاونين مع

-أحمد بن طولون، وخير دليل على ذلك معاقبته لقتلة القائد العمرى، حيث أمر ابن طولون بإيداعهم السجن وتعذيبهم بالسياط حتى الموت.

(البلوى: سيرة أحمد بن طولون، ص ٦٧، تحقيق محمد كرد على، مطبعة دمشق سنة ١٩٣٩م).

(٩١) البيهقى: تاريخ البيهقى، ص ٤٦٠. لقد امتاز السلطان محمود بالذكاء، فكان يدرس عادات وتقاليد الشعوب الهندية يأخذ منها ما يفيد أغراضه، فقد قام بإطلاق سراح جيبال أحد ملوك الهند، Lanepoole: Medieval India under the Mohamadan Rule, P.14 (New York 1968) عندما علم بأن من عادة الهنود أنه من يقع أسيرا فى أيدى أعدائه لا ينعقد له رئاسة رغب السلطان محمود فى إطلاق سراحه، ليراه الهنود فى شعار الذل ويتخلص هو من نفسه بدلا من نقله إلى غزنة وإيداعه إحدى السجون. (ابن الأثير: الكامل، جـ ٩، أحداث سنة ٣٩٢هـ، ص ١٧٠)، وبذلك تخلص السلطان محمود من منافس خطير، بذل معه الكثير من المجهودات لإدخاله فى الإسلام أو التصادق معه دون جدوى(Lane Poole: Medieval India, P.17).

(٩٢) البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٤٦٣.

(٩٣) بارتولد: تركستان، ص ٤٠٢.

أعدائها فى الخارج، مثلما حدث سنة ٤٣٠هـ لأبى طلحة الشيبانى، الذى اتصل بالتركمان ورحب بوصول رسلهم إلى هراة، ومن ثم نفذ فيه السلطان مسعود هذه الوسيلة لإعدامه(٩٤).

وفى عهد السلطان مودود قبض على بعض المتآمرين على الدولة الغزنوية فأمر السلطان بقتلهم رميا بالسهام، وربط بعضهم فى أذناب الخيول الجامحة (٩٥). وقد جرت العادة فى الدولة الغزنوية بالحكم على بعض المتهمين بالشنق حتى الموت، خاصة المسجونين من اللصوص وقطاع الطرق، كما حدث لعلى قهندز قاطع الطريق الخطير فى عهد السلطان مسعود(٩٦)، كما نفذ الشنق على الشخصيات السياسية التى اقترفت كثيرا من الظلم بالرعية أو من اتهم بالباطنية، ومذهب القرامطة، وشهد عليه الشهود بذلك(٩٧) وكثيرا ما كان السلطان يأمر برجمهم بالحجارة حتى الموت، ومن لم

---

(٩٤) نظام الملك: سياست نامه، ص ٦٧.

(٩٥) الكرديزى: زين الأخبار، ص ٣٣٦.

(٩٦) كان على القهندزى من قطاع الطرق الذين أنضم إليه جماعة من الأقوياء، لتربصوا بالقوافل وينهبوا القرى، وقد استولى على مكان اسمه قهندز، وهى قلعه حصينه، أقام بها فى غار على رأس جبل، بحيث لا يمكن بأية حال من الاستيلاء عليها عنوة. فلما علم بزحف السلطان مسعود عليه تحصن فى قلعته، ولم تنجح خطة مهاجمته الا بتسلل بعض من المهاجمين على هيئة رسول ودخوله إلى غار على قهندز. (البيهقى: تاريخ البيهقى، ص ٦١٢، ٦١٣).

(٩٧) البيهقى: نفس المصدر السابق، ص ٢٨

يمت منهم بالرجم يقيد ويرسل إلى السجون، ولا يعرف مصيره بعد ذلك[٩٨] على الإطلاق. والملاحظ أن بعض المؤرخين نوهوا إلى المصير الذى آل إليه السلطان مسعود على يد أولاد أخيه محمد، حيث أشاروا إلى إلقائه فى بئر القلعة، وطمره عليه حتى وفاته[٩٩].

وصفوة القول إنه على الرغم من ميل سلاطين الغزنويين إلى تحرى العدل، فى محاكمتهم ونزاهة قضاتهم، إلا أنهم اتبعوا العديد من وسائل التعذيب التى تدل على الفظاعة والوحشية، كما مالوا بأسلوبهم إلى استخدام العيون والجواسيس فى الإيقاع بخصومهم، وتسيير شئون حكمهم.

العقوبات السياسية وأشهر الشخصيات المسجونة:

لم تقتصر عقوبة السجن على المجرمين والقتلة وقطاع الطرق واللصوص ومن على شاكلتهم من آفات المجتمع الغزنوى، بل تعداه إلى العديد من الشخصيات المهمة والبارزة التى طبقت عليها العقوبات السياسية،

---

(٩٨) الكرديزى: زين الأخبار، ص ٣١٣ .

(٩٩) ابن الأثير: الكامل، جـ ٩، أحداث سنة ٤٣٢هـ ص ٤٨٦، الحسينى: أخبار الدولة السلجوقيه، ص ١٤، لقد قام السلطان محمود بمعاقبة المتأمرين على صهره ابن العباس بن المأمون خوارز مشاه بأن قبض على زعماء الثوار وأمر بطرحهم تحت اقدام الفيلة، ثم علقت أجسادهم على أنيابها، ليطاف بها فى المدينة وينادى: هذا جزاءكل من يقتل أميره ثم علقت الجثث بالمشانق وقد شدت اليها الحبال ووصل بين رؤوس المشانق ببناء من الآجر والجص كأنها جسور ثلاثة، وكتبت عليها اسماؤهم. (العتبى: تاريخ اليمينى، جـ ٢، ص ٩٨، ٦٩، السمرقندى: جهار مقاله، ص ١٦٩، عباس إقبال: تاريخ إيران، ص ١٧٦، بارتولد: تركستان، ٤١٨، ٤١٩).

كالوزراء والحجاب، وقد وصل الحال إلى إدخال الأمراء وأفراد الأسرة الغزنوية نفسها إلى سجون القلاع، ففى سنة ٣٨٠هـ، أودع محمود بن سبكتكين سجن القلعة بغزنة - نتيجة الدس له عند أبيه سبكتكين - لمدة قصيرة لا تتجاوز بضعة أشهر، وما لبث أن أفرج عنه وأعيد إلى نفوذه(١٠٠).

والملاحظ أن السلطنة لم تسلم لمحمود منذ البداية، بل آثر سبكتكين تعيين ابنه الأصغر إسماعيل بدلا من محمود (١٠١)، ومن ثم لجأ محمود إلى الحرب، حتى استطاع التغلب على إسماعيل، وأمنه على نفسه، وأشركه معه فى الحكم، لكنه ما لبث أن ألقى به فى سجن القلعة لسوء ظنه به، وبقى إسماعيل فى السجن حتى وفاته(١٠٢).

ولقد تكرر نفس الموقف عند وفاة السلطان محمود، حيث عين الأمير محمد - الابن الأصغر - بدلا من الأمير مسعود - الابن الأكبر - على عرش غزنة، ومن ثم لجأ مسعود إلى الزحف على أخيه فى غزنة وفى نفس الوقت قام كبار رجال السلطنة - وعلى رأسهم على قريب - حاجب الحجاب، وأبو بكر

---

(١٠٠) خليل الله خليلى: سلطنت غزنويان، ص ٢٠، ٢١.

(١٠١) لا نستطيع أن نجزم بالاعتبارات التى دفعت سبكتكين إلى رفع ابنه إسماعيل على ابنه الأكبر محمود، فربما يكون ذلك راجع إلى الصلة القوية التى تربط إسماعيل بمولاه البتكين، أو أنه أقرب أبنائه إليه وهو على فراش الموت
(Nazim: The life and the time of satltan Mahmoud, P.38).

(١٠٢) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، جـ ٩، أحداث سنة ٣٨٧هـ - ص ١٣٠، ميرخوند:روضة الصفا، ص ١٣٤، عباس إقبال: تاريخ إيران، ص ١٧٢، خليل الله خليلى: سلطنت غزنويان، ص ٢١.

الحصير - نديم السلطان المتوفى - بمراسلة مسعود، معتذرين له على ما جرى منهم، معللين ذلك بأنه كان لصالح الدولة(١٠٣).

وبذلك عادت السلطنة لمسعود، وتم القبض على محمد وإيداعه سجن القلعة بكوهيتز بتنكينا باد(١٠٤)، ومما يلفت النظر أن مسعود سمل عينى أخيه محمد فى سجنه، إمعانا فى إقصائه عن السلطنة(١٠٥) ولكن تشاء الأقدار أن يتآمر الغلمان الأتراك على مسعود بعد ثمان سنوات من حكمه ويزج به فى السجن بقلعة ماريكله، ويفرج عن محمد، ويرفع إلى كرسى السلطنة فيقبل ذلك مترددا(١٠٦)، وفى رواية أخرى أن ابنه أحمد هو الذى ملك وأنه أمر بقتل مسعود(١٠٧).

---

(١٠٣) العتبى: تاريخ اليمينى، جـ ٢، ص ٥٣، ٥٤، السمرقندى: جهار مقاله، ص ١٣١.

(١٠٤) ابن الأثير: الكامل، جـ ٩، أحداث سنة ٤٢١ هـ، ص ٣٩٩، ميرخوند: روضة الصفا، ص ١٦١، الجوزجانى: طبقات ناصرى، جـ ١، ص ٢٧٤، عباس إقبال: تاريخ إيران، ص ١٨٨.

(١٠٥) ميرخوند: روضة الصفا، ص ١٦١.

Nazim: The life and the time of saltan Mahmond, P43

(١٠٦) ابن الجوزى: المنتظم، جـ ٨، ص ١١٣لقد قام السلطان مسعود بالقبض على جماعة من الغلمان الأتراك منهم سباشى وبكنغدى وبعث بهم ليحبسوا بالهند، فانقسم جيش مسعود إلى جماعتين، وأسر الغالبون منهم مسعودا، ورفعوا محمدا، وحبس مسعود سنة ٤٣٢ هـ وقتل فى سجنه بقلعة كيرى. (البيهقى: تاريخ البيهقى، ص ٣٨، الحسينى: أخبار الدولة السلجوقية، ص ١٣، عباس إقبال: تاريخ إيران، ص ١٩٨).

(١٠٧) عباس إقبال: تاريخ إيران، ١٩٩.لما ملك مودود بن مسعود خلفا لأبيه،اقتص من=

معاملة السلطان مودود بن مسعود للأمير عنصر المعالى كيكاوس ـ أمير آل زيار ـ الذى قضى أكثر من ثمانى سنوات رهينة فى بلاط غزنة(٧٣).

ولقد سن السلطان محمود سنة حميدة وهى تبادل المجرمين السياسيين الفارين من العدالة وعدم إبقائهم فى بلاده أو وضعهم فى السجن، وذلك بأنه أمربالقبض على أبى القاسم الجعدى الفار من قبضة الأمير منوجهر بن قابوس ـ أمير الدولة الزيارية ـ وإعادته إلى جرجان، لإقامة الحد عليه، وذلك لاشتراكه فى قتل الأمير قابوس بقلعة جناشك، ولم يقبل محمود إبقاءه فى خراسان سجينا أو طليقا، حتى لا يتجرأ أحد على قتل الملوك(٧٤) وهذا يذكرنا بعمل " الإنتربول " الدولى والقوانين الحديثة التى تنص على تبادل المجرمين بين الدول.

وعلى الرغم مما أشرنا إليه سابقا من عدالة سلاطين الغزنويين(٧٥) ونزاهة قضاتهم إلا أننا نرى فى ثنايا الكتب ما يشير إلى بعض الطرق الملتوية التى اتبعت فى القبض على بعض الشخصيات المناوئة لحكمهم وإيداعهم السجون لذلك، منها التخطيط بطرق شتى للقبض على المتهمين بوضع مادة مخدرة فى الشراب، حتى يسهل القبض على شخص ما، مثلما

---

(٧٣) الأمير قابوس: قابوسنامه، ص ١١١.

(٧٤) العتبى: تاريخ اليمينى، جـ ٢، ص ٢٨ .

(٧٥) نظام الملك: سياست نامه، ص ١٠١.

لمزيد من التفاصيل التى تشير إلى عدالة السلطان محمود ووقوفه إلى جوار سيده متظلمة من حاكم نيسابور المستولى على ضيعتها، وأمره بضرب الحاكم ألف سوط على باب قصره والتشهير به فى الطرقات انظر نظام الملك: سياست نامه، ص ١٠.

بزغند وناى، وقد غضب عليه السلطان مسعود فألقاه فى الحبس، واستمر هناك حتى رفع على كرسى السلطنة(١١٠).

كل ذلك يدلل على أن السجون الغزنوية لم تضم فى جنباتها المجرمين والقتلة فقط، بل ضمت العديد من أمراء البيت الغزنوى نفسه.

ومن الصعب التأكد من الاعتبارات التى دفعت بعض سلاطين الغزنويين إلى الزج بوزرائهم فى السجون، فمن اللافت للنظر أن السجون الغزنوية ضمت العديد من الوزراء، أصحاب الرأى والكفاءة، فعلى سبيل المثال، الوزير أبو العباس الفضل بن أحمد الاسفرائينى، الذى كان كاتبا لفائق فى خراسان، ثم التحق بخدمة سبكتكين ـ فأسند إليه محمود منصب الوزارة، حيث اشتهرت عنه الكفاءة والقدرة على قيادة الجيوش، إلا أننا نرى أن السلطان محمود يزج به فى السجن، وقد قيل إن ذلك بسبب تباطئه فى سداد المبالغ المقدرة على وزرائه لخزانة الدولة(١١١)، بينما يشير بعض المؤرخين إلى أن السبب فى ذلك هو كراهية حاجب الحجاب على قريب له وتحريض السلطان ضده والوشاية به، والضغط عليه فى السداد من ماله الخاص، وقد تكررت المحاولات من جانب على قريب لإظهاره بمظهر الخائن أمام السلطان وتشويه سمعته تحت زعم أنه يحتفظ بالأموال لنفسه ويخفيها عن

---

(١١٠) السمرقندى: جهار مقاله، ص ١٢٣، ١٢٤، ١٣٩، عباس إقبال: تاريخ إيران، ص٢٠٢.

(١١١) العتبى: تاريخ اليمينى، جـ ٢، ص ٦ بارتولد تركستان، ص ٤٣٠، العقيلى: آثار الوزراء، ص ١٥٠، ١٥٢

Nazim: The life and the time of saltan Mahmoud, P.135

السلطان[١١٢]. ومن ثم اعتقل وأدخل سجن القلعة، وظل يعذب كل يوم فى آلة الدهق حتى أسلم الروح فى سنة ٤٠٤هـ[١١٣].

كذلك تعرض الوزير أبو القاسم أحمد بن حسن الميمندى لنفس المصير، بأن ذاق مرارة العزل والحبس بإحدى القلاع على يد السلطان محمود، فى سنة ٤١٥هـ فقد نما إلى علم السلطان أن وزيره يسىء استغلال سلطانه فى الحصول على الأموال[١١٤]، فلم تشفع له كفاءته وخدماته الجليلة للدولة، وتنظيمه للدواوين وإدخاله اللغة العربية فيها، حتى لقب بشمس الكفاءة وظل فى الحبس بقلعة جنكى بالهند وستان منفيا[١١٥] حتى سلطنة مسعود، حيث أخرج من حبسه وأعيد إلى الوزارة مرة أخرى، وخلع عليه خلعة جميلة وأعلى من شأنه وقدره[١١٦].

أما فى عهد السلطان مسعود، فقد أزاح وزيره حسنك بن محمد

---

(١١٢) العتبى: تاريخ اليمينى، جـ٢، ص ٧، العقيلى: آثار الوزراء، ص ١٥٢، بارتولد: تركستان، ص ٤٣٠.

(١١٣)العتبى: نفس المصدر السابق، والجزء، ص ١١.

(١١٤) قابوس: قابوسنامه، ص ٥٧، براون: تاريخ الأدب فى إيران، ص ٢٧

(١١٥) الباخرزى: دمية القصر وعصره اهل العصر، جـ ١، ص ٦٤٤ هامش ٢، نظام الملك: سياست نامه، ص ٧٩ هامش ١ـ خواندمير: حبيب السير، جـ ٣ ص ٢٧، عصام عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام، ص ١٤٩، عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، ص ١٨٦.

(١١٦) الكرديزى: زين الأخبار، ص ٣١٩، العقيلى: آثار الوزراء، ص ١٥٣، خواندمير:دستور الوزراء، ص ٢٣٨،.

الميكالى، وصادر أمواله ثم أمر بشنقه، فشنق فى بلخ[١١٧]، وكانت حجته فى ذلك أن الوزير طلب الإذن من السلطان السابق ـ السلطان محمود ـ بالذهاب إلى الحج، فلما قدم الوزير من الحج سلك طريق الشام، لأن طريق البادية كان محفوفا بالمخاطر، فمر بمصر وأخذ من الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله الفاطمى الخلع والهدايا[١١٨]، فاتهمه الخليفة القادر العباسى بميله للفاطميين، ومن ثم وجب عليه الرجم، ونفذ فيه حكم الإعدام بحضور السلطان مسعود نفسه وقاضى العسكر وقضاة بلخ وأشرافها وأمير الحرس، وتنفيذ عملية الشنق يصفها البيهقى بكثير من التفاصيل فى تاريخه[١١٩]، ومن أبرز الشخصيات السياسية التى أدخلت إلى السجن فى عهد السلطان مسعود، حاجب الحجاب المسمى على قريب وأخيه منكيتراك، فقد تسببت الأحداث التى أعقبت وفاة السلطان محمود بوقوفهما إلى جوار ابنه الأصغر محمد وإعلانه سلطانا على البلاد[١٢٠] سببا فى غضب السلطان مسعود عليهم، وعلى الرغم من أنهما ما لبث أن ندما[١٢١] على ذلك إلا أن السلطان قبض على على قريب وحسبه فى قلعة كوهشير[١٢٢]، أما أخوه منكتيراك فقد حبس بقلعة

---

(١١٧) البيهقى: تاريخ البيهقى، ص ١٩٧ .

(١١٨) الكرديزى: زين الأخبار، ص ٣٢٠.

(١١٩) البيهقى: تاريخ البيهقى، ص ١٩٥، إلى ٢٠٠.

(١٢٠) عباس إقبال: تاريخ إيران، ص ١١٨.

(١٢١) عباس برويز: ديالمه وغزنويان، ١١٨ .

(١٢٢) السمرقندى: جهار مقاله، ص ١٣١ .

غزنة، وقبض على جميع إخوته وصودرت أموالهم جميعا[١٢٣]. ومن اللافت للنظر أن العلماء والكتاب وأصحاب الدواوين، كثيرا ما كانوا يتعرضون للسجن فى الدولة الغزنوية، خاصة إذا كان هناك اضطراب فى الحكم، وخير دليل على ذلك الشاعر مسعود بن سعد بن سليمان، الذى كان صديقا لمسعود ابن إبراهيم الغزنوى، حتى إنه قد صاحبه أثناء حروبه فى الهند[١٢٤]، وخصه بقصائد مدح مشهورة فى ديوانه[١٢٥]، غير أنه لما شك السلطان إبراهيم فى سلوك ابنه مسعود، متهما إياه باللجوء إلى ملكشاه السلجوقى نكل به وبشاعره فى نفس الوقت، فلقى الشاعر مسعود من الحبس والإيذاء مثل ما لقى سيده، فحبس عشر سنوات فى القلاع[١٢٦] ومن العجيب أن الشاعر مسعود بن سعد قد مدح السلطان الغزنوى كثيرا فى قصائده المسماة بالحبسيات، رغبة منه فى أن يفرج عنه[١٢٧].

كما يطالعنا أيضا القبض على كتاب الديوان ومن ضمنهم رئيس الديوان والبيهقى المؤرخ المعروف وذلك فى سلطنة السلطان عبد الرشيد، عندما ثار طغرل واستولى على الحكم قرابة أربعين يوما، حتى تمكن السلطان فرخ زاد من القضاء على الاضطراب، وتم الإفراج عن المعتقلين وكان البيهقى واحد منهم[١٢٨].

---

(١٢٣) البيهقى: تاريخ البيهقى، ص ٩٦، ٩٧ .
(١٢٤) عباس إقبال: تاريخ إيران، ص ٢٠٢.
(١٢٥) السمرقندى: جهار مقاله، ص ١٢٢.
(١٢٦) السمرقندى: نفس المصدر السابق، ص١٣٩.
(١٢٧) بروان: تاريخ الأدب فى إيران، ص ٤٠٩ .
(١٢٨) البيهقى: تاريخ البيهقى، ص ٦ .

وصفوة القول إن الحديث عن السجون فى الدولة الغزنوية، يكشف النقاب عن جانب مهم من جوانب السجون والعقوبات المعمول بها فى الدولة الغزنوية، من حيث أنواع السجون وطوائف مسجونيه ووسائل التعذيب فيه، وصلة هذا الجانب بالجوانب الأخرى فى هذا النظام، كالجانب القضائى المتمثل فى القضاة والمحتسبين، والجانب التنفيذى، المتمثل فى أمراء الحرس والجلادين، والجانب السياسى، المتمثل فى الأمراء والوزراء ومن قبلهم السلاطين. كما يضع أيدينا على طبقات المجتمع الغزنوى، المتمثلة فى رجال الحكم ومن على شاكلتهم، والأثرياء ممن كانوا يفدون أنفسهم من السجن بدفع الغرامات، والفقراء والأسرى ممن كانوا ينكل بهم ويأخذون بالشبهات، والعلماء والكتاب والشعراء أصحاب المؤلفات، والتجار والطحانين والخبازين ممن كانوا يعملون بالاحتكارات، واللصوص وقطاع الطرق والمجرمين، وأصحاب الفواحش والمنكرات.

أولا: المصادر والمراجع العربية:

١- ابن أبى أصيبعة (ت ٦٦٨هـ): موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدى.

" عيون الأنباء فى طبقات الأطباء" شرح وتحقيق نزار رضا، منشورات دار الحياة بيروت.

٢- ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ): عز الدين أبو الحسن على أبو الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد.

" الكامل فى التاريخ " جـ ٩، طبعة دار صادر بيروت سنة ١٤٠٢هـ سنة ١٩٨٢م.

٣- ابن أعثم الكوفى (٣١٤هـ): أبو محمد أحمد.

" كتاب الفتوح " جـ ٧، ص ٨ ـ الطبعة الأولى، مكتبة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن الهند، طبعة دار الندوة الجديدة بيروت سنة ١٩٧١م.

٤- الباخرزى(ت ٤٦٧هـ): على بن الحسن بن على بن أبى الطيب

" دمية القصر وعصرة أهل العصر "، جـ ١، تحقيق ودراسة الدكتور محمد ألتونجى، بدون طبعة، بدون دار نشر.

٥- البلوى (ت فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى): عبد الله بن محمد المدينى.

" سيرة أحمد بن طولون "، تحقيق محمد كرد على، مطبعة دمشق، سنة ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩ م.

٦- ابن تغرى بردى (ت ٨٧٤هـ): أبو المحاسن جمال الدين يوسف.
" النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة " طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية.
٧- التنوخى (ت ٣٨٤هـ): أبو على المحسن بن على.
"كتاب الفرج بعد الشدة " جـ ١، تحقيق الشالجى، طبعة دار صادر بيروت ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.
٨- ابن الجوزى (ت ٥٩٧ هـ): أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد على.
" المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم "، جـ ٩، الطبعة الأولى مطبعة حيدر آباد الدكن سنة ١٣٥٨هـ.
٩- أبو شجاع (ت ٤٨٨هـ): محمد الحسين الملقب بالروذراورى.
" ذيل تجارب الأمم "، اعتنى بتصحيحه هـ، ف آمدرون، جـ ٣ طبعة مصر سنة ١٣٣٤ هـ / سنة ١١٩١٦م.
١٠- الشيرزى (ت ٥٨٩هـ): عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله
" نهاية الرتبة فى طلب الحسبة "، تحقيق السيد الباز العرينى، طبعة دار الثقافة بيروت - لبنان.
١١- عصام الدين عبد الرؤوف: " تاريخ الإسلام فى جنوب غرب آسيا فى العصر التركى "، طبعة القاهرة سنة ١٩٧٥م.
١٢- عطية مصطفى مشرفة:" القضاء فى الإسلام "، الطبعة الأولى، مطبعة الاعتماد سنة ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م.
١٣- الكندى(ت ٣٥٠هـ): محمد بن يوسف بن يعقوب.

" كتاب الولاة والقضاة " طبعة بيروت سنة ١٩٠٨م.

١٤- النويرى (ت ٧٣٣هـ): شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب.

" نهاية الأرب فى فنون الأدب، جـ ٢٥، تحقيق د. محمد جابر عبد العال الحينى، مراجعة د. عبد العزيز الاهوانى طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٢م.

١٥- ياقوت الحموى (ت ٦٢٦هـ): شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الرومى البغدادى

"معجم البلدان"، جـ٤، طبعة دار صادر بيروت.

ثانيا: المصادر والمراجع الفارسية:

١٦- بارتولد: تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى " نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم، طبعة الكويت سنة ١٩٨١م.

١٧- براون: " تاريخ الأدب فى إيران من الفردوس إلى السعدى" نقله إلى العربية إبراهيم أمين الشواربى، طبعة السعادة بمصر ١٩٥٤م.

١٨- البيهقى (ت ٤٧٠هـ): أبو الفضل محمد بن حسين.

" تاريخ البيهقى" ترجمة من الفارسية إلى العربية د. يحيى الخشاب ود. صادق نشأت، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية ١٣٧٦هـ / ١٩٥٥م.

١٩ـ جوزجانى (قاضى منهاج الدين عثمان بن سراج الدين معروف بمنهاج سراج) " طبقات ناصرى " به تصحيح ومقابلة وتحشية وتعليقات عبد الحى حبيبى قندهارى، كابل ١٣٤٣هـ.ش.

٢٠ـ الحسينى (عاش فى السابع الهجرى): أبو الحسن على بن أبو الفوارس ناصر بن على " أخبار الدولة السلجوقية "، اعتنى بتصحيحه محمد إقبال أستاذ اللغة الفارسية بجامعة فنجاب، طبعة لاهور سنة ١٩٣٣م.

٢١ـ خليل الله خليلى: " سلطنت غزنويان "، كابل ١٣٣٣هـ ـ ش.

٢٢ـ خواندمير (ت ٩٤٢هـ): غياث الدين بن همام الدين.
"دستور الوزراء " ترجمه من الفارسية إلى العربية د. حربى أمين سليمان، تقديم د. فؤاد عبدالمعطى الصياد، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٨٠م.

٢٣ـ خواندمير (ت ٩٤٢هـ): غياث الدين بن همام الدين
" حبيب السير فى أخبار أفراد البشر "، جلد ٣ تهران ١٣٣٣هـ. ش.

٢٤ـ الراوندى (ت ٥٩٩ هـ): محمد بن على بن سليمان.
" راحة الصدور وآية السرور فى تاريخ الدولة السلجوقية، ترجمه إبراهيم الشواربى وآخرون، طبعة دار العلم بالقاهرة سنة ١٣٧٩هـ /سنة ١٩٦٠م.

٢٥ـ عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية (٢٥٠هـ / ٨٢٠م ـ ١٣٤٣هـ /

ومما يلفت النظر فى تاريخ السجون الغزنوية أن أكثرية أمراء الأسرة الحاكمة كانوا مساجين فى سجون القلاع بأمر السلطان القائم على الحكم، وربما ذلك راجع إلى خشية السلطان على نفوذه وسلطانه، أو ربما شكا وريبة من بعضهم لميل رجال الدولة والرعية إليهم، لذا كان يأمر السلطان بإيداعهم السجن فينتهى من منافستهم من ناحية ويتفرغ لادارة شئون دولته من ناحية آخرى، ومن ثم أصبح من المألوف فى عصر الدولة الغزنوية، أن يطلق سراح الأمير من سجنه، لكى يرفع إلى أعلى المناصب ليتولى السلطة فى الدولة الغزنوية.

وقد تكرر هذا الأمر عدة مرات، فنرى على سبيل المثال أن الأمير عبد الرشيد - الابن الثالث للسلطان محمود - يطلق من حبسه الذى وضعه فيه مودود بن مسعود - ويقدم من بست إلى غزنة، ويرفع على عرش السلطنة(١٠٨) كذلك يتكرر نفس الأمر - بعد مقتل عبد الرشيد - باستيلاء الحاجب طغرل على الملك لمدة أربعين يوما، فيغضب بعض غلمان القصر، ويهجم عليه ويقتله، ومن ثم يأتى بالأمير فرخزاد بن مسعود الذى كان حبيس إحدى القلاع ويرفعه إلى كرسى السلطنة (١٠٩).

ويؤكد كثير من المؤرخين على أن السلطان إبراهيم بن مسعود الذى تولى الحكم فى ٤٤١هـ كان قد قضى ثلاثة عشر عاما سجينا فى قلاع

-عمه محمد المسعول وابنه أحمد بالقتل، (الكرديزى: زين الأخبار، ص ٣٦٦، ابن الأثير: الكامل، جـ ٩، أحداث سنة ٤٣٢هـ، ٤٨٨).

(١٠٨) ابن الجوزى: المنتظم، جـ ٨، ص ١٤٨، عباس إقبال: تاريخ إيران، ص ٢٠٠.

(١٠٩) البيهقى: تاريخ البيهقى، ص ٦ مقدمة، ميرخوند: روضة الصفا، ص ١٦٨.

١٩٢٥م)، ترجمه من الفارسية إلى العربية د. محمد علاء الدين منصور، راجعه أ.د السباعى محمد السباعى، طبعة دار الثقافة والنشر.

٢٦- عباس برويز: " تاريخ ديالمه وغزنويان، تهران ١٣٣٦ هـ. ش.

٢٧- العتبى (ت ٤٢٨هـ): أبو نصر محمد بن عبد الجبار.
"تاريخ اليمينى" على هامش كتاب ابن الأثير: الكامل فى التاريخ جـ ١١، جـ ١٢، طبعة سنة ١٩٠٩م.

٢٨- العماد الأصفهانى(ت ٥٩٧هـ): عماد الدين بن محمد بن حامد.
" تاريخ دولة آل سلجوق " أختصار الفتح بن على بن محمد البندارى، الطبعة الثالثة تحقيق لجنة إحياء التراث العربى، طبعة دار الآفاق الجديدة بيروت سنة ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.

٢٩- قابوس (ت ٤٦٢هـ): الأمير كيكاوس بن إسكندر بن الأمير قابوس بن الأمير وشمكير "قابو سنامه" ترجمة من الفارسية إلى العربية محمد صادق نشأت، وأمين عبد المجيد بدوى، الطبعة الأولى، مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م.

٣٠- الكرديزى (ت ٤٤٢هـ): أبو سعيد عبد الحى بن الضحاك محمود.
" زين الأخبار " ترجمته من الفارسية إلى العربية د. عفاف السيد زيدان، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٢م.

٣١- ميرخوند (ت ٩٠٣هـ): محمد بن خاوند شاه.

"روضة الصفا فى سيرة الأنبياء والملوك والخلفاء"، تاريخ الدولة الطاهرية والصفارية والسامانية وآل بويه والإسماعيلية والملاحدة، ترجمه من الفارسية إلى العربية د. أحمد عبد القادر الشاذلى، راجعه أ.د السباعى محمد السباعى، ط الدار المصرية للكتاب ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م.

٣٢- ابن نظام عقيلى (توفى فى النصف الثانى من القرن التاسع الهجرى): سيف الدين حاجى

" آثار الوزراء " بتصحيح مير جلال الدين حسينى أرموى محدث، تهران ١٣٣٧هـ. ش.

٣٣- نظام الملك الطوسى (ت ٤٨٥ هـ): الحسن بن إسحاق بن العباس، "سياست نامه"، ترجمة وتعليق السيد محمد العزاوى، طبعة دار الرائد العربى، القاهرة سنة ١٩٧٥م.

٣٤- نظامى عروضى السمرقندى (ت ٥٥٠هـ): الحسن بن عمر.

" جهار مقاله "، وعليه خلاصة حواشى العلامة محمد بن عبد الوهاب القزوينى، ترجمه من الفارسية إلى الإنجليزية إدوارد براون، ونقله إلى العربية عبد الوهاب عزام ويحيى الخشاب، الطبعة الأولى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م.

المراجع الأوربية

35- Lane Poole: Medieval India under the Mohamadan Rule. (New York, 1968).

36- Mohamed Nazim: T he life and the Time of Mahmud of Ghazna, with of oreward by the late sir Tomes Arnold. (combridge, 1931).